

إلياس الحويك

مؤسس جمعية راهبات العائلة المقدسة اللبنانية المارونيات

الدكتورة ليندا رزق*

مقدمة



البطريرك إلياس الحويك ومؤسس جمعية
راهبات العائلة المقدسة (١٨٤٣-١٩٣١)

يعتبر البطريرك إلياس الحويك من النخبة المميّزة في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ومن تاريخ الكنيسة المارونية نظرًا إلى الأعمال البارزة التي حقّقها على صعيد الوطن والكنيسة، وهو من الأحرار القلائل الذين برزت أسماؤهم ساطعة في تاريخ الكنيسة المارونية، ذلك لأنّه وضع كلّ طاقاته الماديّة والمعنويّة واللاهوتيّة في خدمتها. كما يعتبر شخصيّة وطنيّة بامتياز، إذ برزت عظمته في الحقبة التي تولّى فيها مسؤوليّة السدّة البطريركيّة على أكمل وجه إذ انفتح بجديّة ومصداقيّة على كلّ مكونات الوطن ما جعله يحوّل بكركي إلى صرح وطنيّ تلتقي فيه الشخصيات السياسيّة والروحيّة والوفود الشعبيّة التي اعتادت أن تؤمّ هذا الصرح في الظروف والأزمات المصيريّة، فيلاقون منه الترحيب والاحترام ولا عجب إذا قلنا إنّ المواقع التاريخيّة والوطنية التي أعلنها

على الملأ قد خفّفت كثيرًا من وطأة المآسي التي عاش في ظلّها اللبنانيون على مدى أكثر من عقدين من الزمن. خاصّةً وأنّه فتح أبواب بكركي لجميع المحتاجين الذين وجدوا لديه كلّ عطف وأبوة وحنان. وعندما ضربت المجاعة لبنان في الحرب العالميّة الأولى وذهب ضحيّتها عشرات الألوف من اللبنانيين، عمد هذا الرجل الكبير إلى إقامة أفران يوزّع عليها الطحين مجانًا لمساعدة الجياع والمرضى والعاجزين.

إنّ هذا البحث يركّز على نقطتين أساسيتين:

الأولى: شخصيّة البطريرك منذ طفولته حتّى سيامته كاهنًا فأسقًا فبطريركًا، وأبرز الإنجازات التي حقّقها على صعد الدين والسياسة والاجتماع ومعالجة المعضلات الأساسيّة التي حصلت في أيّامه، وخاصّةً قضية إطعام الجياع ودفن الموتى المكّدسين في الشوارع ليس هناك من يدفنهم تحت التراب، ما

* أستاذة في التاريخ الحديث والمعاصر.

جعله يفتح أبواب مخازن المؤمن في الصرح البطريكيّ للتخفيف من حدّة هذه الكارثة المعيشيّة والصحيّة وذلك في أثناء الحرب العالميّة الأولى. هذا بالإضافة إلى المشكلة التي حصلت بينه وبين جمال باشا الذي كان يخطّط لإعدامه أو لنفيه من البلاد. ولكنّ العناية الإلهيّة قد أنقذته من مخالب هذا الذئب الكاسر. واستمرّ في سياسته لرعيّته خاصّةً، ولمعالجة القضايا الوطنيّة عامّةً، بما في ذلك تنظيم علاقاته بالفرنسيّين وبالملك فيصل الذي كان يطمح إلى إنشاء حكومة عربيّة في لبنان موالية له.

الثانية: هذه النقطة ستأخذ الحيز الأكبر من هذا النصّ فهي الإنجاز الذي حقّقه البطريك على الصعيد الدينيّ من حيث إبراز دور المرأة، ومقدرتها على تحمّل أعباء مسؤوليات جسيمة ومصيريّة في تاريخ الكنيسة والوطن. ومن هذا المنطلق أسّس "جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات".

في هذا الشقّ من البحث سنتطرّق إلى شرح الدوافع والخلفيّات التي دفعت البطريك المارونيّ إلى الإقدام على هذه المحاولة السابقة لعصرها في أيامه والأهداف التي سعى إلى تحقيقها من خلالها على صعد الدين والتربية ومعالجة المشكلات الإنسانيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وخاصّةً من جهة الإعداد لتأسيس عائلة مسيحيّة مميّزة منزّهة عن التعصّب والتمييز العرقيّ والطائفيّ. كما توخّى منها أن تكون صاحبة رسالة تبشّر بالإنجيل وتعمل على نشر القيم المسيحيّة بين العائلات والأفراد والمدارس وفي الرهبانيّات.

بعد ذلك سنسلّط الأضواء على القوانين الخاصّة بهذه الجمعيّة والمراحل التي مرّت بها، إلى أن وصلت إلى الصيغة النهائيّة كما هي اليوم، مع إلقاء نظرة تقييميّة عليها. يضاف إلى ذلك أنّ الدراسة ستتابع مسيرة هذه الجمعيّة والعقبات التي أخذت تعترضها بعد أشهر قليلة على تأسيسها، وأبرزها أنّ المتبتّلة أورسلا لحدود قد تراجعت عن هبتها لدير مار يوسف إلى البطريكيّة، ما اضطرّ الرهبنة للتفتيش عن مقرّ آخر، حيث استقرّت أخيراً في عبرين. إلّا أنّ العقبة الأشدّ إيلاًماً قد تجسّدت باستشهاد الأمّ الرئيسة العامّة والمؤسّسة روزالي نصر، مع التطرّق إلى بعض وقائع الجريمة.

أمّا على صعيد إنجازات هذه المؤسّسة فنشير إلى انصراف هؤلاء الراهبات إلى الاهتمام بالشؤون الصحيّة كالمياتم والمستشفيات، والمؤسّسات التربويّة وخاصّةً من جهة فتح المدارس المجانيّة والخاصّة.

وفي النهاية سنختم موضوعنا بفصل خاصّ عن الرئيّسات العامّات اللواتي عقبن الرئيسة العامّة المؤسّسة روزالي، وبلغ عددهنّ ستّ رئيّسات عامّات مع الإشارة إلى أبرز إنجازات كلّ واحدة منهنّ، وإلقاء نظرة تقييميّة بوجه عامّ على عهد كلّ واحدة منهنّ، وعلى موضوع الدراسة ككلّ.

الفصل الأوّل

أولاً: شخصيّة الحويّك وأبرز إنجازاته

أ - مولده ونشأته

ولد في بلدة حلتا - قضاء البترون العام ١٨٤٣، والعام ١٨٥١ دخل مدرسة يوحنا مارون في كفرحي - قضاء البترون أيضاً. والعام ١٨٥٩ دخل إكلييريكيّة غزير، وظلّ يتابع دروسه فيها حتّى العام ١٨٦٥ حيث أرسله البطريرك بولس مسعد لإكمال دروسه في روما في مدرسة نشر الإيمان المقدّس، وظلّ هناك حتّى العام ١٨٧٠.

بعيد عودته إلى لبنان حاملاً شهادة الملفنة في اللاهوت، وبتنويه صادر عن رؤسائه، دَوّن على لائحة الشرف إلى جانب اسمه باللغة اللاتينيّة: *Juvenus ad maiora natus*^١

أي "وفتي ولد للعظام" وانصرف حالاً إلى ممارسة الوعظ والتبشير والرياضات الروحيّة.

ب - الحويّك كاهناً

بعد عودته من روما درّس سنتين في مدرسة كفرحي، غارساً في نفوس تلامذته التّعبد للعدراء. وفي العام ١٨٧٠ تقبّل الدرجة الكهنوتيّة في ٥ حزيران يوم عيد العنصرة، ولكنّ شهرته الواسعة المزينة بالقيم والفضائل المميّزة قد ترامت إلى مسامع البطريرك مسعد فعينه أمين سرّ للبطريريكيّة، وعيّن محامياً لشؤون الزواج في المحكمة البطريريكيّة طيلة ١٨ عامًا قضاها بالعمل بجديّة وتجرّد وأمانة^٢.

ج - الحويّك مطراناً

في ٢٨ نيسان ١٨٩٠ انتخب المطران يوحنا الحاجّ بطريركاً فانتدب الحويّك ممثلاً له لزيارة الأعتاب الرسوليّة ليحصل له على درع التثبيت. فمثل لدى البابا لاوون الثالث عشر الذي منحه بركته مثنيّاً على تعلق الكنيسة المارونيّة بروما. كما كلفه بالقيام بالتفاوض مع المسؤولين هناك لإعادة فتح المدرسة المارونيّة في روما التي كان نابليون قد وضع يده عليها يوم دخل روما فاتحاً العام ١٧٩٨، فأقبل مدرستها وباع أملكها وشرّد تلامذتها. فنجح بمهمّته على أكمل وجه وأدخل البهجة في قلب

^١ أسعد داغر، بطارقة الموارنة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٧ ص ١٠٩-١١٠؛ إغناطيوس سعادة، المؤسّسان الياس الحويّك ويوحنا حبيب، ص ٥٤-٥٦، من محاضرة ألقيت في دير العائلة في عبرين في ٢٨ أيار ١٩٩٥.

^٢ بولس إميل سعادة، المنارة ١٩٩٥، العام ٣٦، محاضرة ألقيت في مدرسة تنويرين، في ١٤ أيار ١٩٩٥، ص ١٨ بعنوان: "وجه البطريرك الحويّك الكنسي".

البطريك، وخاصةً بعد أن حصل على ٨ منح لطلاب موارد ليدرسوا في معهد سان سوليبس في باريس. وتمكّن أيضًا بفضل الاتّصالات الحثيثة والجادة من تأسيس كنيسة سيّدة لبنان في باريس العام ١٩١٤ وهذا ما أعاد الروابط الجيدة بين لبنان وفرنسا إلى سابق عهدها.

وتحقيقًا لهدف الحصول على ٥٠ ألف فرنك لإعادة فتح المدرسة المارونيّة في روما، قام بجولة على المدن الفرنسيّة ثمّ توجّه إلى سويسرا لمقابلة الإمبراطور الفرنسيّ فرانسوا الأوّل، وفي طريق عودته إلى الوطن "عرّج على الأستانة ليشكر السلطان عبد الحميد على إعفائه البطريك المارونيّ من فرمان الاعتراف بسلطاته البطريركيّة من السلطان العثمانيّ^٣.

خدم الحويك لبنان والكنيسة المارونيّة طيلة حياته، والحديث عنه يطول ويتشعب حول أبعاد نشاطاته التي لا حدّ لها في الوطنيّة والسياسة والاجتماع والشؤون الكنسيّة والروحيّة والإنسانيّة^٤.

د - الحويك بطريكًا

توفيّ البطريك يوحنا الحاج ليلة عيد الميلاد ١٨٩٨، فعقد الأساقفة مجمعًا خاصًا لانتخاب بطريك جديد للطائفة، فانتُخب المطران إلياس الحويك بطريكًا في الجلسة الأولى في ٦ كانون الثاني ١٨٩٩، وعلى الفور اختطّ لنفسه أسلوبًا إنسانيًا وحازمًا في الوقت نفسه، ومن الأمور الجديدة التي اعتمدها لعهد: المائدة البطريركيّة المشتركة التي كانت معلمًا من معالم العيش المشترك الذي كان يرفع شعاره حيث كان يشترك فيها كلّ المتواجدين في الصرح من رجال دين وعلمانيّين، بمن فيهم الكبار والصغار. وشمل كلّ مرؤوسيه برعاية تجسّد العطف، والحنان، كما اهتمّ بممارسة الطقوس الدينيّة كالفاديس والصوم وتساعيّة الميلاد ورتبة الآلام ودرب الصليب. كما بذل عناية كبيرة لإقامة رياضات روحيّة للأساقفة والمطارين في الكرسيّ البطريركيّ، وخصّ العذراء مريم بتكريم خاصّ في صلواته ومظاهر عبادته لها، فكان يتلو يوميًا مسبحة الوردية ويشترك بإقامة زياح لها، وأخذ ينسّق مع القاصد الرسوليّ لإقامة مذبح لها في حريصا^٥. أبرز إنجازاته:

– تشييد كنيسة المقرّ الصيفيّ العام ١٩٠٣ حيث تحوّلت إلى قصر فيما بعد وسمّاه: "ذكرى جديدة قنّوبين" وجرّ إليه المياه الغزيرة من أراضي الدير حيث تحوّلت الأراضي البور القاحلة إلى حدائق وجنّات غناء.

– توسيع أملاك بكركي واستصلاح الأراضي القاحلة فيها بعد أن جرّ إليها المياه من درعون فأصبحت مساحات خُصرًا خصبة.

^٣ بولس إميل سعادة ، م.س.، ص ١٨-٢٠.

^٤ المرجع نفسه، ص ٢١-٢٤، ١٠٥-١٠٦، باخوس الخوري الدور الوطنيّ للبطريك الحويك.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٧-٢١-٢٤.

- توسيع أملاك بكركي واستصلاح الأراضي الفاحلة فيها بعد أن جرّ إليها المياه من درعون فأصبحت مساحات خُضراً خصبة .
- إنفاق مبالغ طائلة لتزيين كنيسة الصرح في بكركي حيث تحوّلت إلى تحفة فنيّة وأصبحت من أعظم كنائس لبنان بفضل عمل ابن أخته الفنّان يوسف الحويك.
- تقفده للأبرشيات التابعة له في أثناء انتقاله إلى المقرّ الصيفي في الديمان أو بالعكس من الديمان إلى بكركي، إذ اعتاد أن يزور القرى التابعة له، ويطلع على همومها ومشاكلها المختلفة وخاصّة من الناحية الروحيّة، وكان يعمل على إيجاد حلول لها وللمشكلات الماديّة أيضًا.
- إهتمامه بالمدرسة المارونيّة في روما كما مرّ معنا سابقاً .
- إعطاؤه أهميّة خاصّة بموارنة الاغتراب وتتبع أخبارهم. ومن هذا المنطلق أنشأ مطرانيّة في مصر بناءً على طلب الموارنة هناك.
- الاهتمام بواقع الأبرشيات في الداخل أيضًا، فبناءً على طلب رعايا مطرانيّة صيدا وصور أصدر أمرًا بقسمتها إلى مطرانيّتين مستقلّتين.
- من أعماله الرسوليّة أيضًا بالإضافة إلى تأسيس أبرشيّة صور المارونيّة، تحرير الوكالات البطريركيّة في باريس والقدس ومصر، وأوفد مجموعات من المبشرين إلى نواحي أفريقيا وأميركا حيث أشادوا الكنائس والملاجئ والميآتم والمصحّات، وعزّزوا الصحافة والجمعيات الثقافيّة في قارة أميركا.

هـ - تشديده على تأسيس الرهبانيّات المحليّة النسائيّة والرجاليّة

ومن الأمور الأبرز في عهده درس ملفّات تطويب راهبين لبنانيين نعمة الله الحرديني وشربل مخلوف من بقاع كفرا والراهبة رفقا الرّيس من حملايا، كما جرى في عهد تطويب الأخوة المسابكيين الثلاثة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الحويك قد أعلن في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٢٦ تطويب الشهداء المسابكيين الثلاثة الذين قُتلوا في دمشق، في أثناء أحداث ١٨٦٠ الطائفية وأمر بأن تُقام على أرواحهم احتفالات بكلّ كنائس الأبرشيّة البطريركيّة على مدى ثلاثة أيّام متتالية بين ١٢ و ١٤ أيلول المناسب عيد ارتفاع الصليب. وحاول إنشاء مدرسة إكلييريكيّة عامّة في البترون، إلّا أنّ نُشوب الحرب العالميّة الأولى قد أجهض المشروع. ونتيجةً مساعيه الخيريّة قدّمت الحكومة الفرنسيّة إلى الموارنة ديرًا وكنيسة في باريس.

بعد انتهاء الحرب المذكورة جمع البطريرك مطارنة الطائفة للبحث مجدّدًا في موضوع إنشاء البطريركيّة. وبعد مفاوضات استمرّت حتّى إلى ما بعد وفاته تمّ الاتفاق على أن يعهد بهذا العمل إلى الآباء اليسوعيّين، فأسسوا المدرسة في غزير. كما نشأت إكلييريكيّة أخرى شبيهة لها في مار عبدا هريريا بإشراف البطريركيّة. وكانت كلّ واحدة منها تضمّ مئات التلامذة.

إزاء النقص في وجود الرهبانيّات في الجبل، برزت الحاجة إلى القيام بنهضة شاملة لتطوير المجتمع. هذا بالإضافة إلى ظهور مجموعات من البروتستانت والكاثوليك تركّز على ضرورة تعليم المرأة الشريفة. وهذا ما خلق الحاجة إلى نساء لبنانيّات يتولّين رعاية الفتيات اللبنانيّات.

أمّا على صعيد إنجازاته السياسيّة فنشير إلى قضية سياسيّة ووطنية خطيرة وهي أنّه بعد دخول تركيا الحرب العام ١٩١٥ إلى جانب ألمانيا ضدّ الحلفاء، استدعي البطريك إلى الديوان العرفي في عاليه من قبل جمال باشا ٣ مرّات وتمكّن بقوة شخصيته وجرأته من أن ينجو من الإعدام أو النفي إلى الأستانة.

بعد ثلاث زيارات للبطريك الحويك إلى الديوان العرفي في عاليه، وكان فيها مصيره مهذّباً حتّى الموت وتمكّن من تسوية وضعه مع السّفاح، فقد قام جمال باشا بزيارة تاريخية إلى المقرّ الصيفي للبطريكية المارونية في الديمان. وهذا ما يبيّن المكانة الرفيعة التي كان يحتلّها البطريك الماروني دولياً ومحلياً^٦.

وعندما انتشرت المجاعة في لبنان ومات أكثر من ثلث السكّان بسببها، أمر على الفور بفتح مخازن بكركي والأديرة والمطرائيات أمام الجوع، وسعى لتأمين القمح والمساعدات الضروريّة لهم، كما بذل أموالاً طائلة لدفن جثث الموتى المكّسين في الشوارع.

في هذا السياق أيضاً وبعد أن انتهت الحرب العالميّة واندحر الأتراك، توجّه إلى مؤتمر الصلح في باريس وقاد المفاوضات باسم الوفد اللبنانيّ الموحد لتوسيع رقعة لبنان الجغرافيّة من خلال "إعلان دولة لبنان الكبير"^٧.

وقبيل عودة المطران عبدالله الخوري من باريس مترسّساً الوفد اللبنانيّ الثالث إلى مؤتمر الصلح المذكور، قابل في ٢٧ آب ١٩٢٠ قداسة البابا بنيدكتوس الخامس عشر وأطلعه على خريطة لبنان القديم قبل ١٩٢٠ وخريطة لبنان الحديث، فما كان من قداسته إلا أن دَوّن عليها عبارة بالفرنسيّة، وممهورة بتوقيعه، وقد جاءت ترجمتها:

"عشيّة تحقيق أمانى أبنائنا اللبنانيين الأعزاء، نحرص على تهنئتهم ونمنحهم البركة الرسوليّة بقلب رحب". وذلك في ٢٧ آب ١٩٢٠.^٨

^٦ بطرس حرب، ص ٩٧.

^٧ إسطفان إبراهيم الخوري، وثائق البطريك الحويك السياسيّة في أرشيف بكركي من مقدّمة كتاب تاريخ الموارنة (الغلاف الخارجي)؛ خليل أبي نادر، روحانية البطريك الحويك.

^٨ سامي سلامة، مفكّرة المطران عبدالله الخوري، منشورات جامعة سيّدة اللوزة، لبنان، ٢٠٠١، ص ١٣٨-١٤١.

وتجدر الإشارة في هذا المجال أيضًا إلى الحديث عن علاقاته الإيجابية بالفرنسيين وخاصةً مع المفوض السامي في لبنان دي جوفنيل، وصادف أنّ البطريرك كان يستعدّ لزيارة دي جوفنيل، ثمّ يقوم بالاحتفال بيوبيله الأسقفيّ، ففوجئ بأنّ المفوض السامي قد سبقه إلى المقرّ البطريركيّ ليقدم إليه واجب التهنئة باليوبيل^٩.



إعلان دولة لبنان الكبير - الأوّل من أيلول ١٩٢٠

ثانيًا: قوانين جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة

أ - كتابة القوانين

بناءً على طلب البطريرك الحويّك بدأ البحث بوضع قوانين لهذه الجمعيّة تبيّن بوضوح واجبات الراهبات المنطويات، ليتسنى لكلّ واحدة منهنّ معرفة الفرض الذي من أجله دخلت في عضويّة هذه الجمعيّة، وخاصةً من جهة تقديس ذاتها وإتقان أعمال البرّ.

^٩ باخوس، ص ١٠٤، مقالة بعنوان "دور البطريرك الحويّك عساف الخوري في الإطار الوطني" - محاضرة أُلقيت في مدرسة طرابلس في ١٦ ك ١٩٩٤.

ب - دوافع كتابة القوانين

إن هذه الرهبانية التي أسسها الحويك وبذل لها عقله وقلبه، بدأت على الفور ممارسة نشاطها الرسولي بوجه عشوائي من دون تخطيط أو تنظيم، وبدون برنامج عمل واضح. فكتبت الرئيسة الثانية الأم ستيفاني إلى البطريرك طالبةً منه وضع قانون ينظم عملها الرسولي. بدأ العمل بوضع القانون الأبوان إبراهيم حرفوش ويوحنا السبعلي واهتما بتبويبه وتنقيحه والتدقيق فيه. وانتهى العمل العام ١٩٠١ حيث تسلّمت الأم المذكورة نسخة عن مشروع القانون، ولكنها استمرت في مناقشة والتعليق عليه وإبداء الملاحظات المناسبة حتى العام ١٩١٠، وبعد ذلك طبعت القوانين بشكلها النهائي، ثم أعيدت صياغتها وثبتت نهائياً العام ١٩٢٨ وظلّ معمولاً بها حتى العام ١٩٧٧^{١٠}.

- فرض الحضّ على الراهبات

- فرض الانتخاب السري لتأمين حرية الانتخاب داخل الجماعات الديرية

- لا تنتخب رئيسه إلا بعد الأربعين من عمرها وبعد ثماني سنوات لندورها

- فرض الاعتراف والمناولة أقله مرّة في الشهر واستقدام كاهن غير اعتيادي أقله ثلاث مرّات في السنة.

النسخة الانتقالية ١٩٧٧ (دستور حياة)

كتبت هذه النسخة بعد استطلاع رأي الأخوات في أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني وصدور القرار المجمعّي من تجديد الحياة الرهبانية. وورد في هذه النسخة مكان مخصّص للمشاورات بين الرئيسة وأخواتها للتعاون من أجل إتمام المسؤوليات المشتركة^{١١}.

الطبعة الحالية ١٩٩٢ الأمر الجديد في هذه النسخة يتبيّن أنّ الراهبات لأول مرّة يكتبن قانونهنّ ويعبّرن فيه عن حقيقة حياتهنّ التي اخترنها والتي يردن تحقيقها في حياتهنّ الرهبانية. ولأوّل مرّة يكون للقوانين مرجع كنسيّ يحدّد ماهية الحياة الرهبانية بالإضافة إلى تحديد أطرها.

نظرة تقييمية للقانون الجديد

إنّ الحالة الرهبانية هي طريق للحياة المشتركة في مؤسسة معينة تنبّتها الكنيسة، وفيها يتّبع المؤمنون المسيح بفعل الروح القدس اتّباعاً أشدّ التزاماً، فيتخذونه معلماً ومثال القداسة ويكرّسون ذواتهم على نحو جديد وخاصّ بنذرهم نذراً عموماً الطاعة والعفة والفقر، وممارستها بحسب الفرائض تحت قيادة

^{١٠} ١٨٥ القوانين فيما تعلق بالجمعيات النسائية.

^{١١} مرسوم تثبيت البطريرك إلياس الحويك ١٩٢٨.

رئيس شرعي، متخلّين عن العالم وعاكفين كلياً على اكتساب كمال المحبّة في خدمة الله لأجل بناء الكنيسة وخلص العالم كعلامات تنبئ مسبقاً بالمجد السماوي^{١٢}.

أمّا المميّز في هذا القانون فهو أنّه أعطى الرّئيسة العامّة حقّ قبول النذور، هذا الحقّ الذي كان من سلطة البطريرك وهنا لا بدّ من إلقاء نظرة تقييميّة إلى هذا القانون بصيغته الأخيرة^{١٣}.

أولاً: من حيث الشكل او الصيغة (الصياغة) والفصل بين كلّ مادّة وأخرى من موادّه، واستحداث كتاب التنفيذ، هذا العمل كتاب الرسوم، وجعل لكلّ مادّة تتعلّق بمقومات الحياة الرهبانيّة أساساً لاهوتياً، وكتائباً، ومتطلّبات قانونيّة، مع ترك المجال مفتوحاً لتحقيق مبادرات فرديّة تسعى إلى تطوير كلّ فرد بحسب تطلّعاته الروحيّة.

ثانياً: من حيث التحويلات والتعديلات القانونيّة، جرى اتباع معطيات الحقّ العامّ ومبادئه والذي بدأ العمل به منذ العام ١٩٩١.

ثالثاً: توجّهت القوانين بوجهٍ أوضح إلى الكنيسة الجامعة وإلى المجتمع وإلى الخدمة الرسوليّة، والانفتاح على مشكلات عالم اليوم، والسعي من أجل التضامن الإنسانيّ، كما أخذت بعين الاعتبار معطيات العلوم الإنسانيّة التي يمكن أن نشعر بها كخليفة شفّافة تشمل معظم القوانين.

رابعاً: يميّز متن النصّ بأنّه يذخر بالمراجع الإنجيليّة خاصّة والكتابيّة عامّةً.

خامساً: يبدو من خلال صياغة القوانين هذه أنّ النصوص الكنسيّة لا تغيب عن مضمونها، وكذلك توجيهات الكنيسة.

سادساً: إنّ استخدام كتب التنشئة Ratio institutions يتوحّى تولّي مسؤوليه الاهتمام بأساليب التنشئة الحديثة بكلّ ما تحوي من مقومات إنسانيّة ونفسيّة، وأنتروبولوجيّة، ومقومات لاهوتيّة وكتابيّة وقانونيّة تغطّي معظم وجوه الحياة الرهبانيّة ومظاهرها، بالإضافة إلى الاهتمام الحثيث بالعلوم الأكاديميّة والمهنيّة. وهذا الكتاب وضع قيد الاختبار منذ العام ١٩٩٢، وسيعرض على المجمع العامّ قبل التصويت عليه.

إنّ هذه الصيغة الجديدة تؤلّف وحدة متكاملة كما أنّ الجمعيّة موحّدة ومتكاملة لتكون جسماً كنسياً متّحداً بالمسيح، تعمل في خدمته وتتلمذ له.

وفي شرحنا مفهوم الحياة الرهبانيّة التاريخي يمكن القول: لا عشوائيّة ولا فوضى في الحياة الرهبانيّة، بل هي "عمل مؤسّسي" ولا عفويّة في الأهداف والتطلّعات المستقبليّة. والحياة الرهبانيّة، بتعبير

^{١٢} قانون ٤١٠ - ١٩٠، قوانين جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات، إعداد الأخت كلوتيلديّة.

^{١٣} القانون ٤١٨، البند ٢ المتعلّق بالحقّ العامّ، ص ١٩٠.

أدقّ هي "موهبة الروح" ولكنّ ذلك لا يعني أنّها موهبة كاملة مطلقة، بل لها مشاكلها وتعقيداتها واحتياجاتها وبيئتها الخاصّة.

إنّ إعادة كتابة هذه القوانين وصياغتها ثانيةً في ضوء تحرّك كنسيّ معتمد على زخم في النصوص، وتبدّل في شكل المجتمع المعاصر، هي نداءات صريحة لنا للقيام بمسؤولياتها الضرورية على هذا الصعيد، وهي حتمية روحية وتاريخية أخذت بعين الاعتبار في أثناء صياغة هذه القوانين. لأنّ مجتمعنا متعدّد الحضارات والانتماءات وممزّق، تتجاذبه تيارات متناقضة على مختلف الصُعُد. لذا، فإنّ حياتنا الرهبانية القائمة والمعيشة، وشهادتنا الإنجيلية هما المحكّ، وعلى أساسها تظهر الكلمة الفصل، ويصبح بالتالي سهلاً الحكم على مدى مطابقتنا لهذه الحياة سلبيّاً أم إيجاباً.

الرزاء العظيم بموت مؤسسه راهبات العائلة المقدّسة^{١٤}.

^{١٤} ٣٣ ص ١٩٢.

الفصل الثاني

البطريك الحويك وجمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات



احتفال جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّة بيوبيلها الخمسين في خدمة الجالية اللبنانية في أستراليا (تشرين الأول ٢٠١٧)

أولاً: الحويك مؤسس جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة

أ - خلفيات تأسيس الجمعيّة

أسس الحويك هذه الجمعيّة للعناية بتهديب البنات وتنقيهنّ وبذلّ من أجل تنفيذ هذا المشروع من ماله الخاصّ مئة ألف ليرة عثمانية ذهباً، بالإضافة إلى تبرّعات المحسنين في لبنان وفرنسا، وعند مماته كانت هذه المؤسّسة قد ظهرت إلى الوجود بوجه نهائيّ، وتعدّدت مدارسها في سوريا ولبنان وأستراليا،

وأعطت نتائج باهرة في مجالات التربية والأخلاق والدين. وهذا ما جعل الحويك يغادر هذه الدنيا قريراً العين بالإنجازات التي حقّقها على مختلف الصّعد.

ومن غريب الصدف أنّه قبل مائة عام من إعلان البابا والأمم المتّحدة "سنة العائلة" ثمّ "سنة المرأة" كان الحويك يعمل على تأسيس جمعيّة يسمّيها جمعيّة العائلة، غايتها تنشئة الشبيبة وخاصّة الفتيات على القيم والمبادئ السامية. إنّه فعلاً "نبيّ" كسميّه.

ب - ظروف ولادة الجمعيّة

آمن الحويك بأنّ ما يقوم به في إدارة هذه الجمعيّة هو بتكليف من الروح القدس. وكان على ثقة أنّه بعد مغادرته العالم ستواصل عملها تحت نظر العناية الإلهيّة بتدبير ربّانيّ، لنشر تعاليم الإنجيل على أيدي قافلة عذارى العائلة المقدّسة، تسير مثقلة بالمسؤوليّات الجسام لمجابهة حاجات العصر وهمومه وآلامه ومتطلّباته، لترافق شعب الله، متكلّة على العناية الإلهيّة التي لا تسمح بأن ترزح هؤلاء المرسلات تحت عبء الأحداث الجسيمة والمسؤوليّات الخطيرة. فعلى أكتافهنّ وصلواتهنّ تنهض الإنسانيّة، لأنهنّ يزرعن كنوز الإنجيل غير عابئات بما يخبئ لهنّ المستقبل من مفاجآت.

وقد ورد في القوانين الجديدة لهذه الجمعيّة المستوحاة من المجمع الفاتيكانيّ ومن روحانيّة المؤسس: "تفرض علينا الطاعة البحث الفرديّ والجماعيّ عن إرادة الله في الصلاة أو في الحوار المنزّه عن الهوى الذاتيّ، والمركّز على الخير العامّ ونجاح الرسالة. هذه الطاعة هي تطلّع يوميّ إلى إرادة الله".

إنّ الراهبة المنتميّة إلى هذه الجمعيّة تتمثّل بالقديس يوسف في طاعته، ويكون خضوعها بدافع من الروح القدس وبالانقياد لروح الله بإيمان وسخاء. فالراهبة في هذه "العائلة" تسلّم نفسها تسليمًا بنويًا كاملاً لله لتصبح ذبيحة مقدّسة مرضيّة عند الله. وهي لا تخاف العزلة لأنّ "الله معها". ومن فقرها تغني الآخرين في لبنان كما في سوريا وأستراليا، وتجاهد في مسيرتها اليوميّة لتتلمذ كلّ الأمم. إنّها مكرّمة لله، وأعمالها أيضًا يجب أن تكون كذلك.

إنّ هؤلاء الراهبات يعشن دعوتهنّ بالتعاون مع أسقف الأبرشيّة وكاهن الرعيّة والعلمانيّين الملتزمين، مجسّدات روحانيّة المؤسس في القطاع التربويّ كما في القطاعين الروحيّ والإنسانيّ، وتعمل كلّ واحدة منهنّ بروح الكنيسة متكلّة على الله، مع الثقة التامة بأنّ حياتهنّ الرسوليّة هي من صلب تكريسهنّ سواء كان في المدارس أم خارجها أم في المجتمع والأبرشيّة وفي المؤسسات الإنسانيّة.

إنّ عمل الراهبة يقوم على الالتزام بالأساليب الجديدة في العمل الرعويّ الرسوليّ المستند إلى توصيات السينودس المتمحورة على التربية وخدمة المرضى لأنّ الكنيسة مدعوّة لأن تكون أمّ المتألّمين تحوطهم بمحبّتها لأنّهم أبناؤها، فتواصل بذلك رسالة الأب الإله. والمرأة المكرّسة بكيوننتها وعملها تكشف

حضور الله وتجعله فاعلاً ومؤثراً في هذا المجتمع. والمرأة المكرسة هي أيضاً علاقة محبة الأب للبشر وحنانه. والسينودس في هذا المجال يشرح كيف أنّ الأنوثة هي علاقة الأزمنة اليوم، وهي شهادة لخدمة الكنيسة البتول والأمّ. فالتبويّة ترتبط بالأمومة من خلال ممارسة المنشورات الإنجيليّة^{١٥}.

وفي هذا السياق لا بدّ من توضيح موقف الحويك من مبدأ الطاعة لدى الراهبات. وقد لخص ذلك في رسالة وجهها إلى الراهبات في ٣ آب ١٩٢٥ يحثهنّ فيها على الطاعة للرئيسة التي أرسلها الله تعالى برعاية خاصّة، إنّها تعمل من أجل خير الأخوات، وخير الجمعيّة المباركة، وتحاول أن تعطيهنّ كلّ ما منّ الله عليها من مواهب. ويؤكد بروح إيمانيّة أنّ إرادة الله توهب لهنّ بواسطة الأمّ الرئيسة، ويشير في مقطع آخر إلى طاعة الرئيسة حتّى ولو لم تكن أهلاً للرئاسة.

ج - تأسيس الجمعيّة

إنّ فكرة تأسيس هذه الجمعيّة راودت الحويك منذ بداية حياته الكهنوتيّة. وقد تعززت هذه الفكرة بعد جولته على القرى الجبلية فور تسلّمه مهامّه الأسقفية، ولاحظ في أثنائها حاجة البلاد إلى التقدّم، واعتقد أنّ التقدّم يعتمد على التربية، ومنّ أجدر بالتربية من المرأة؟!.

تعرفّ البطريك في قرية كيفان إلى الراهبتين اللتين مرّ ذكرهما (تقلا) روزالي نصر، واستيفاني كردوش، من جمعيّة راهبات الوردية من ناصرة الجليل، وهي أرثوذكسيّة وتتعاوى التعليم. وذلك في العام (١٨٩٣) وقد أسست مدرسة في كيفان.

عندما أعجب البطريك بشخصيّة هاتين الراهبتين عرض عليهما إنشاء رهبنة نسائيّة على غرار جمعيّة الوردية فوافقت الرئيسة ولكنها اشترطت موافقة مسبقة من بطريك القدس. وصادف أن التقى المطران الحويك البطريك المذكور في مدرسة البروباغندا وحصل منه على موافقة رسميّة لهذا المشروع، مع موافقة البطريك على إبقائهما بتصرف الحويك. ولما عاد هذا الأخير من روما أوائل تمّوز ١٨٩٣ أبلغ الأمّ روزالي بما حصل بينه وبين البطريك فقبلت الأمر وباشرت فوراً بالتنفيذ متّكّلة على حكمة الله وتدبيره ودعم البطريك. وظهرت هذه الجمعيّة إلى الوجود (أول جمعيّة نسائيّة وطنيّة رسولية) في ١٥ آب ١٨٩٥ وكانت الولادة في جبيل (دير مار يوسف). وقد أبدت الأمّ روزالي اهتماماً كبيراً بشؤون العمل الرسوليّ وخدمته.

ويعود السبب في اختيار هذا المكان إلى أنّ المطران لم يكن يملك المال الكافي لبناء دير يكون مقرّاً لهذه الجمعيّة. وصادف أنّ راهبة من عمشيت تدعى أرسلًا هارون أو أرسلًا لحود تنتمي إلى راهبات الوردية وكانت تجمع الأموال لبناء دير وكنيسة ومدرسة لتعليم أولاد الفقراء وإيوائهم. فحققت ما أردت، ثمّ

^{١٥} بشارة الراعي (رئيس أساقفة جبيل سابقاً) من محاضرة القاها في مدرسة مار يوسف جبيل في ٧ ك، ١٩٩٥، ص ١٥٣-١٦٢ بعنوان: "دور الراهبة في الكنيسة اليوم".

وهبت الدير المذكور للبطريركية المارونية. وفي ١٤ آب ١٨٩٥ تسلّمت الأمّ روزالي مفاتيح الدير المذكور من الخوري بطرس رزق العمشيتي، وقرعت أجراس الدير ابتهاجًا بالحدث السعيد. وتوافد الناس من مختلف أنحاء جبيل لحضور الذبيحة الإلهية التي ترأسها المطران الحويك شخصيًا، وجرى احتفال كبير لهذه المناسبة. وبعد الانتهاء من هذه المراسم سلّم المطران الحويك الأمّ روزالي مقاليد الرئاسة العامة للجمعية فعيّنت الأخت استيفاني مساعدة لها ومعلمة، ودخلت عشر بنات سلك التعليم والامتحان في مدرسة دير العائلة^{١٦}.

د - أهداف الجمعية

هدف الحويك من تأسيس هذه الجمعية تحقيق طموحاته المعبرة عن محبته لأبناء وطنه وكنيستته وأبناء طائفته، والمشددة على الإيمان خشيةً عليهم من الضياع والتشتت والانحلال الروحي. وهذا الشعور المتعدّد الوجوه دفعه إلى التفكير بتأسيس جمعية نسائية لتحضن في رسالتها الفضائل في المجتمع، والعناية بتربية الفتيات على مختلف الصُّعد بغية تأمين قيام عائلة صلبة العود، عزيزة الجانب تتحلّى بمكارم الأخلاق والحياة الحرة المسؤولة القائمة على جوهر الإيمان المسيحي.

في أثناء انهماك الحويك بتحقيق هذا المشروع، ارتأى أن يفاوض في هذه القضية الغالية على قلبه الراهبة روزالي نصر المنتمية إلى "راهبات الوردية" التي جاءت إلى لبنان بغية إنشاء إرساليات فيها. وقد جمعت العناية الإلهية هذين الشخصين على درب الخير والإيمان والفضيلة، وبدأ اللحم يدخل حيز التنفيذ في دير صغير في مدينة جبيل كانت قد وهبته إلى البطريركية متبّلة من عمشيت اسمها أورسلا لحدود.

وفي الخامس عشر من آب ١٨٩٥ المصادف عيد انتقال العذراء احتفل الحويك في كنيسة الدير المذكور بالذبيحة الإلهية لمناسبة التأسيس، وقد حضر القدّاس الأمّ روزالي والأخت استيفاني. وكانت الراهبة روزالي حجر الزاوية في بنیان هذا الصرح الروحي، أي "جمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات". وعلى الفور هبّت الأمّ روزالي إلى القيام بأعباء هذه المهمة متكلّة على العناية الإلهية وتشجيع البطريرك البارّ، وأخذت تشجّع الفتيات على الدخول في هذه الرهبانية، وأفسحت لهنّ المجالات الواسعة لعيش الفضائل المسيحية قبل أن تستشهد دفاعًا عن المبادئ السامية الحقيقية، والمثل الرهبانية المميزة. وظلّت هذه الجمعية تشقّ طريقها على دروب الكمال معتمدة على توجيهات الرئيسات العامّات ومجالسهنّ، وتشجيع البطريرك غير المحدود إياهنّ.

^{١٦} فيرونا زيادة، جمعية راهبات العائلة المقدسة، مراحل التأسيس، ص ١٦٣-١٦٤ محاضرة أقيمت في سيدني - أستراليا، في ٣ شباط ١٩٩٥.

هـ - العلاقة بين جمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات وجمعية المرسلين اللبنانيين

بدأ مشروع فكرة إنشاء جمعية الراهبات يراود مخيلة البطريرك الحويك عندما كان يملي على الأب إبراهيم حرفوش مراحل حياته وإنجازاته حيث مرّ في حينه ذكر إنشاء جمعية راهبات تُعنى بتهديب الفتيات، وهذه الفكرة الحلم كانت تهجس بباله منذ أمد بعيد^{١٧}.

لا تتوافر لدينا دلائل وإثباتات قاطعة حول طبيعة العلاقات بين هاتين المؤسستين. غير أنّ الثابت بحسب أرشيف كلّ منهما أنّه بعد تأسيس جمعية الراهبات بثلاثة أشهر كان الرئيس العامّ لجمعية المرسلين يفتتح أوّل رياضة روحية لهؤلاء الراهبات المرسلات، وذلك بطلب من مؤسّسهنّ الذي كتب إلى الرئيسة الأولى للجمعية في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٩٥ يخبرها بذلك مسبقاً، وهو الأب الخوري إسطفان قزاح رئيس عامّ المرسلين الكريميّين، ثمّ توالى بعده عدد من الآباء في هذه المهمة.

والعام ١٩٠٠ كلّف البطريرك الأبوين يوحنا السبعلي وإبراهيم حرفوش بإعداد قوانينها الأولى والتي عاد السبعلي فصاغها ثانيةً وطبعت ١٩٣٠. والعام ١٩١٨ فوّض الحويك إلى الرئيس العامّ ترؤس المجامع العامّة للراهبات، وبعدها بعشر سنوات وقّعت بوحى منه وبإشرافه "المعاهدة" بين رئيسي الجمعيتين تنصّ على إسناد الإدارة الروحية للراهبات إلى المرسلين^{١٨}.

و - عقبات ما بعد انطلاق المسيرة

- العقبة الأولى

فيما كانت المسيرة في جبل (دير مار يوسف) سائرة في طريقها القويم إذا بالمتبئلة أورسلا التي تبرّعت أصلاً بالدير المذكور للبطريركية، تعود لتطالب باسترداد ملكيته متخلية عن الهبة، ما اضطرّ إدارة الجمعية إلى مغادرة الدير المذكور لتستقرّ مؤقتاً في مدرسة بطرس شحادة في جبل بالرغم من أنّ بناءها غير صالح للسكن، فاضطرت إدارة الرهبانية للانتقال إلى عبرين في البترون بعد إقامة قصيرة لبضعة أشهر في كفيفان ريثما يصبح البيت الذي اشتراه المؤسس قد أصبح جاهزاً لاستقرار الراهبات فيه، وكان ذلك في العام ١٨٩٦ أي بعد حوالي سنة على التأسيس^{١٩}.

^{١٧} إبراهيم حرفوش، دلائل العناية الصمدانية، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونيه، ١٩٣٤ ص ٢٠٣.

^{١٨} راجع ماري ريتا مخول، جمعية المرسلين اللبنانيين وراهبات العائلة المقدسة المارونيات، المنارة، ص ٢٧١-٢٧٨.

^{١٩} إنتقال الجمعية إلى عبرين ١٨٩٦، وبلغ عدد أديرتها العام ١٩٠٥ خمسة أديرة: عبرين، جبل، عمشيت، كفيفان، قرطبا. ص ١٧٩.

- العقبة الثانية

تجسّدت باستشهاد المؤسّسة الأمّ روزالي نصر في ٢٣ آب ١٨٩٩ عندما أقدمت فتاة لم تقبلها الأمّ روزالي في عداد الراهبات على الانتقام منها بطعنها بخنجر بصدرها وهي نائمة في سريرها، فعمّدت بدمائها مسيرة هذه الجمعيّة المباركة، وشقّت بذلك طريقها نحو القداسة^{٢٠}.

تولّى رئاسة هذه الجمعيّة طوال قرن من الزمن منذ تأسيسها رئيسات عامّات تتابنّ على مسؤوليّة إدارتها وتنظيم مسيرتها على أكمل وجه. ولا بدّ من الاطّلاع على مآثر كلّ واحدة منهنّ، وأبرز إنتاجهنّ ولنا عودة إلى هذا.

ز - إستشهاد الرئيسة

يوم الأربعاء ٢٣ آب ١٨٩٩ استشهدت مؤسّسة هذه الجمعيّة الأخت روزالي إبراهيم نصر في منتصف ليل ٢٢-٢٣ آب ودفنت في اليوم التالي في كابيلا ديرها المشيّد في عبرين بحضور المطران بولس عوّاد وكلّ كهنة مديريّة البترون وجمهور كبير من الشعب والرسميين، وكانت مظاهر الحزن والأسى بادية على وجوه المشاركين. وقد اشترك ثلاثة مجرمين في قتلها وبطريقة وحشيّة جدًّا. والغريب في دقّة تنفيذ عملية القتل هذه أنّ راهبة ثانية تدعى الأخت صوفيا شهوان كانت نائمة معها في الغرفة لم تنتبه إلى حدوث ما حصل وبالتالي لم تتمكّن من أن تقدم إليها أيّ مساعدة. وقبل لفظ أنفاسها الأخيرة أخذت تصرخ وتستدعي الكاهن لأداء واجباتها الروحيّة^{٢١}.

فور شيوخ النبا المشؤوم تقاطرت الوفود من مختلف القرى المجاورة وأعلمت المراجع الأمنيّة والقضائيّة بالأمر. أمّا البطريرك الحويك فأرسل ثلاثة مراسيم فور تبلّغه نبأ الحادثة: إثنين إلى الخوري بطرس أرسانيوس رئيس مدرسة القديس يوحنا مارون والثالث وجهه إلى الراهبات معبّرًا عن تعازيه الحارّة بالحدث الخطير، ووَجّهت دعوات النعي إلى القرى المجاورة والأديار وكهنة الرعايا، وأهل الشهيدة. وفي صباح يوم الخميس عقد اجتماع للكهنة والراهبات والنائب البطريركيّ بولس عوّاد وكاتب الأسرار البطريركيّ القسّ إغناطيوس وهيبة لحضور صلاة الجنّاز في أجواء من الحزن والأسى خيّم على أرجاء الدير وأجواء مختلف القرى المجاورة^{٢٢}.

بعد أن قدّم البطريرك واجب التعزية إلى راهبات هذه الجمعيّة، وأبلغهنّ بأنّه كلّف حضرة المطران بولس عوّاد النائب البطريركيّ لترؤس صلاة الجنّاز نيابةً عنه، داعيًا لنفسها الطاهرة الرحمة الإلهيّة، كما يمنحهنّ البركة الرسوليّة تكررًا.

^{٢٠} مقالة الأخت ماري ريتا مخول، ص ١٧٤-١٧٥.

^{٢١} عدد ١٣٨

^{٢٢} عدد ١٤٠-١٤١.

لقد دفنت الرئيسة الشهيدة في كاييلا الدير بحسب أوامر السيّد البطريرك، وقد عاون النائب البطريركيّ في مراسم الدفن جمهور غفير من الكهنة والرهبان وقد تُلي الرقيم البطريركيّ، وبعد ذلك ألقى كلمة التأبين الخوري بطرس أرسانيوس الذي مرّ ذكره، ثمّ اتّنها ثانيةً النائب البطريركيّ بأمر من السيّد البطريرك وشدّد على صفاتها ومزاياها الفاضلة وظروف استشهادها وجاء في التأبين: إنّها تقلا بنت إبراهيم ولدت في القليعات بين ١٨٣٨-١٨٣٩ ثمّ انتقل أهلها من القليعات إلى جديدة غزير وفي التاسعة من عمرها دخلت مدرسة اللعازريّات في بيروت أيام رئاسة الأمّ جالاس التي أسّست أديارهنّ في بيروت. وكانت تقلا من تلميذاتها الأوّلات، وقضت عندهنّ مدّة تسع سنوات: سبع سنوات في بيروت واثنين في دمشق. وتميّزت في هذه المرحلة الدراسيّة بالذكاء والاجتهاد والتقوى، ودرست فيها اللغة الفرنسيّة، فبرعت فيها مع شيء من قواعد اللغة العربيّة. فأحبّتها الرئيسة المذكورة والراهبات حبّاً مفرطاً. وكانت الرئيسة تعتمد عليها في تدبير شؤون الدارسات وتدرّسهنّ. كما عهدت إليها أمر تدرّسهنّ طيلة ثلاث سنوات من وجودها عندها... وفي الثامنة عشرة من عمرها عندما كانت في دير اللعازريّات تعرّفت إلى بعض من راهبات الناصرة كنّ قد زررن دير اللعازريّات وتردّدن إليه برهة. ولما سألتهنّ عن قانونهنّ وأجبنها أحبّت الترهّب عندهنّ، وطلبت من رئيستها الأمّ جالاس السماح لها بذلك. فسمحت لها. وعلى الفور ذهبت إلى الأرض المقدّسة مع اثنتين منهنّ بادئ ذي بدء وليلة عيد الميلاد لبست في الناصرة ثوب الابتداء. وبعد انقضاء فترة الابتداء لبست الإسكيم. فترهّبت وبقيت في هذه الرهبانيّة أربعاً وعشرين سنة كانت فيها قدوة صالحة في الجّد والكّد لخدمة مصالح الرهبانيّة. فسعت لتشييد أربعة أديرة في الناصرة وحيفا، وعكا، وشفاعمرو بالخصوص. وقد سعت لجلب فرمان من والي الشام ببناء دير في بيروت. وقد أتت بأعمال جبّارة من خلال هذه الرهبانيّة. وبعد أن نذرت نذورها المؤبّدة نحو ١٤ سنة استدعاها المرحوم الخوري يوسف طنّوس الناصريّ اللاتينيّ لمساعدته على تأسيس رهبانيّة الوردية. ولجأ إلى وسائل عديدة مع المجمع المقدّس والديوان البطريركيّ الأورشليميّ لبّت طلب الخوري المذكور، وتمكّنا بفضل جهودهما المشتركة من تأسيس الرهبانيّة المذكورة وعاونته في وضع قانون لها. وظلّت تمارس مهامّ الرهبانيّة في هذه المؤسّسة إلى أن استدعاها المطران إلياس الحويك لإنشاء رهبانيّة العائلة المقدّسة كما مرّ معنا سابقاً حيث تأسّست في ١٥ آب ١٨٩٦. بالإضافة إلى تأسيس عدّة مرسلات لرهبانيّة الوردية، وأقامت لها ديراً كبيراً في القدس، فقد أسّست ٤ مرسلات لراهبات العائلة اللبنانيّة في عمشيت ودوما وكيفان وجران^{٢٣}.

^{٢٣} صفحة ١٩٩ (مقال الأب يوحنا السبعلي).

ط - مدبرو مؤامرة الأخت روزالي نصر^{٢٤}

تبيّن بعد التحقيقات القضائية أنّ القتلة هم: اوجني يوسف صادر، عساف جرجس صادر، وإلياس يوسف زهرا وكلّهم من كفيان واشتركوا جميعاً في جريمة الراهبة الشهيدة، وقد شارك في هذه الجريمة أيضاً بوجه غير مباشر كاهن من غادير وعلمانيان من الشبان كانا يكتبان أوجني المذكورة وكان هؤلاء المجرمون يخطّطون أيضاً لاغتيال البطريرك الحويك.

نشاط الجمعية في سوريا

بدأ هذا النشاط بتأسيس مدرسة ابتدائية في بانياس ١٩٣٧ وتولّى شؤون رئاستها الأخت كريستين خوري وقد ساعدتها الأختان سابين شيخاني وماري إيلي حبّيش. وقد بدأت الراهبات نشاطهنّ هناك في منزل قدّمه إليهن القاضي غانم إلياس وشملهنّ برعايته على مختلف الصّعد. وبعد وقت قصير أصبح هذا العقار بالإضافة إلى عقار ملاصق له ملكاً لهنّ. وقد حظيت مدرسة هؤلاء الراهبات بعطف ظاهر من السلطات السوريّة، فازدهرت بوجه مميّز لدرجة أنّها ضمّت حوالي ١٢٠٠ طالبة في مختلف مراحل التعليم. وظلّت تمارس نشاطها حتّى ١٩٦٧ حيث أقفلت المدارس الكاثوليكية هناك. ومن بين خريجاتها زوجة الرئيس السوري حافظ الأسد.

أمّا في اللاذقية فبدأت الجمعية نشاطها بفتح مدرسة ابتدائية العام ١٩٤٣، بإدارة الأخت كريستين خوري، ثمّ تحوّلت إلى مدرسة إعدادية فثانوية العام ١٩٤٧. وتمّ أيضاً بناء مدرسة حديثة كان يقصدها مجموعات من الطالبات من مختلف أنحاء سوريا وفيها فرع داخليّ، وظلّت مزدهرة حتّى موعد إقفالها العام ١٩٦٧.

وفي ما يتعلّق بالخدمات الصحيّة لهذه الجمعية في مختلف أرجاء سوريا نذكر:

- إدارة مستشفى طرطوس الوطنيّ ١٩٤٦-١٩٥٤
- إدارة مستشفى حمص الوطنيّ ١٩٤٩-١٩٧٣
- إدارة مستشفى المجتهد في دمشق ١٩٥٦-١٩٦٥
- إدارة مستشفى اليازجي الخاصّ في اللاذقية ١٩٥٤-١٩٦٤

بعد إقفال هذه المدارس والمؤسّسات الصحيّة انصرفت الراهبات في البلاد السوريّة إلى الخدمة الروحيّة والاجتماعيّة من تعليم دينيّ في الرعايا، وتوجيه أخلاقيّ واجتماعيّ للنشء الجديد إلى فتح بيت لطالبات الجامعات في دير اللاذقية وحضانة للأطفال في بانياس.

^{٢٤} صفحة ٢٠٠ (مقال الأب يوحنا السبعلي).

الفصل الثالث واقع الجمعية التربويّة

أولاً: زيارات راهبات العائلة المقدّسة

في رسالة وجهها البطريرك الحويّك بتاريخ ١٤ آب ١٩١٥ إلى هذه الجمعية، شدّد على أنّ هذه الجمعية هي جمعية رهبانيّة رسولية تهدف إلى الاتّحاد بالله وخدمة البشر.

وهذه الجمعية - وكما مرّ معنا سابقاً - حملت هموم التربية والتعليم وتولّت رسالة نشر العلم والثقافة في لبنان، وتربية النشء، تربية مسيحيّة وإنسانيّة وعلميّة تساعد الناشئ على تلوين شخصيّته الجسديّة والمعنويّة والعقليّة، وترسيخ حريّة تفكيره وانفتاحه على الغير بروح من المسؤوليّة الواعية.

وإدراكاً من الجمعية أهميّة الدور التربويّ في بناء الوطن والمواطن، فقد أنشأت مكتباً تربويّاً يعمل لوضع خطط تربويّة تتجسّد من خلال سياسة تربويّة واعية تعمل الجمعية على تطبيقها على أكمل وجه، وفق تعاليم الكنيسة المقدّسة في مجالي التربية والتعليم. ولمناسبة اليوبيل المئويّ لتأسيس الجمعية، نظّم المكتب المذكور مؤتمراً تربويّاً تركّز جدول أعماله على نقطتين فقط:

١ - شموليّة التربية

٢ - التأهيل، والتأهيل المتواصل

إنعقد المؤتمر على ثلاث مراحل وغطّى بوجه كامل جميع المناطق اللبنانيّة:

الأوّل في حوش حالاً لمدارس البقاع،

والثاني في فنقا ومخصّص لمدارس بيروت وجبل لبنان والجنوب،

والثالث في طرابلس لمدارس الشمال وذلك طوال الفترة الواقعة بين ١٦ آذار و٢٨ منه ١٩٩٥.

لقد توسّعت المناقشات وتشعبت وتمحورت هذه المواضيع على خمسة محاور:

المحور الأوّل: المتعلّم

١. الاهتمام بإعداد الناشئ إعداداً محكماً، ما يساعده على التطوّر والنموّ بوجه سليم.

٢. تدريب الناشئ على الاستفادة من الآلة واستعمالها بالوجه السليم والفعال.

٣. ضرورة التوفيق بين التكنولوجيا والكتاب في التعليم والتثقيف.

المحور الثاني: المعلم

١. المعلم هو المساهم الأكبر في عملية التعلم ولا بديل له مهما تطوّرت التكنولوجيا، وخاصّ من جهة كونه القدوة والمثال.
٢. يجب أن يؤمن المعلم بالديموقراطية في التفكير وبحريّة الرأي.
٣. على المعلم أن يخضع دائماً لعملية تأهيل وإعادة تأهيل ليظلّ محافظاً على دوره الرياديّ في عملية التربية والتعليم.

المحور الثالث: الإدارة

- الإدارة هي المحرك الأساسي في العملية التربويّة وهي رأس الهرم التربويّ في المؤسسة التربويّة. ومن أهمّ مسؤولياتها:
١. توفير الإطار الضروريّ والمناسب والملائم للولد لتأمين أفضل الظروف التربويّة له.
 ٢. تنظيم لقاءات وندوات وحلقات حوار بين أعضاء الأسرة التربويّة كافة وخاصّة الأهل، لتهيئة أهمّ الظروف لنجاح عملية التعلم.
 ٣. تأمين التأهيل الدائم والمتواصل للمعلّمين والمتعلّمين من خلال عقد دورات تربويّة لمدارس الجمعيّة (دورات تدريبية).
 ٤. التطوّر العلميّ والثقافيّ وإغناء المكتبات ومراكز التوثيق بكلّ ما من شأنه أن يوفّر أفضل الظروف التربويّة للتعلم.
 ٥. إستحداث جهاز توجيه تربويّ ومهنيّ في المدارس يبدأ عمله ابتداءً من المرحلة المتوسطة.
 ٦. ضرورة أخذ الإدارة بعين الاعتبار بواقع المعلم الماديّ والمعنويّ والعمل على تأمين الشروط الماديّة والمعنويّة ليقوم برسالته التربويّة على أكمل وجه.
 ٧. تشجيع النشاطات اللاصفيّة كالرياضة والفنون والمسرح وإدخالها في صلب المنهج الرسميّ.
 ٨. الاهتمام بالتربية وتعزيز التفاعل البناء بين المدرسة والبيت.
 ٩. التعامل مع الواقع بجديّة وحذر في الوقت نفسه، وتنقيف الناشئة على أسس علميّة موضوعيّة، تساعدهم على اختيار الأفضل من البرامج التي تعرضها وسائل الإعلام.

المحور الرابع: الأهل

يؤدّي الأهل دورًا أساسيًا في العملية التربويّة سلبيًا أم إيجابًا. ويقول قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إنّ العائلة هي المربيّة على السلام. ويركّز هذا المحور على ما يلي:

١. لا بديل عن دور الأهل في العمليّة التربويّة،
٢. ضرورة التواصل المستمرّ بين الأهل والإدارة والهيئة التعليميّة لبلوغ أقصى النتائج الفعّالة في العمليّة التربويّة
٣. ضرورة مشاركة الأهل في الاجتماعات والندوات واللقاءات التي تعالج المشكلات التربويّة داخل المؤسّسات لإبعاد أثارها السليبيّة عن عملية التعلّم

المحور الخامس: الدولة

الدولة هي المرجع الأعلى في وضع السياسة التربويّة والضامن الأوّل لحقوق المتعلّم والمواطن، وخاصّة في ما يتعلّق بوضع المناهج التربويّة التي يجب أن تكون وفق الأسس التالية:

١. المناهج الحاليّة توقّفت عن مجارة التطوّر العلمي والتكنولوجيّ منذ عقود من الزمن، وهي بالتالي بحاجة إلى تطوير وإصلاح وتأهيل لتصبح ملائمة لإعداد مواطن صالح ووطن متطوّر.
 ٢. على الدولة تأمين التعليم لجميع المواطنين مع الحفاظ على حريّة الاختيار التي يكفلها الدستور.
 ٣. العمل على إنشاء مكتبات عامّة، أو مراكز رياضيّة وفنيّة في البلديات والمؤسّسات العامّة.
- إنّ مدارس راهبات هذه الجمعيّة وأديرتهنّ موزّعة في مختلف مناطق لبنان وهي:

دير الأحمر، حوش حالا - بيروت - مستشفى بيروت، مدرسة حارة حريك - أنطلياس - صربا - غادير - شكّا - مزيارة - دوما - البترون - سمار جبيل - الدير الأمّ (عبرين) مركز الرئيسة العامّة مدرسة صور، ومدرسة جبيل هي المركز الأوّل لجمعيّة العائلة عمشيت^{٢٥}.

وأخيرًا نختم كلامنا بأنّ رسالة التربية هي مسؤوليّة خطيرة، ورسالة وطنيّة لا يمكن التساهل فيها، وعلى القيمين على الشؤون التربويّة أن يأخذوا واجباتهم على محمل الجدّ، ويجب أن يعملوا بمنتهى التعاون مع جميع المسؤولين لبناء الوطن والمواطن على مختلف الصّعد، وعلى أكمل وجه.

^{٢٥} إبراهيم حرفوش، مرسل لبنانيّ، زيارة راهبات العائلة، ١٩٣٢، ص ٢٢٠ - ٢٣٣.

ثانياً: الأبعاد التربوية من جمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات

إن هذه الجمعية تهدف إلى تربية النشء على مبادئ الديانة المسيحية وشرائعها ومبادئ الفضيلة التي يجب أن تعمّر البيوت والعائلات وتصون الحياة الاجتماعية من الفساد (هذه الأفكار قد وردت في الرسالة الموجهة من البطريرك الحويك إلى الراهبات بتاريخ ١٤ آب ١٩١٥ "صوت المؤسس") ومن خلال هذه الرسالة وغيرها من مواقف البطريرك وتعليمه نستنتج أنّ التربية بنظره تقوم على الأسس التالية:

أ - الاعتماد في التربية على سنن الديانة المسيحية

ب - لقد ميّز الحويك في أوائل القرن العشرين بين العلم والتربية، واعتبر أنّ العلم وحده لا ينفع لبناء الشخصية البشرية، بل يجب أن يُربط دائماً بأهداف دينية وتربوية، ويشدّد في الرسالة الحادية عشرة على أهمية القراءة والمطالعة، وخاصةً في الكتب ذات الطابع الديني والتوجيهي، وفي الرسالة السابعة يشدّد على أنّ تعليم الفتاة ليس هدفاً بحدّ ذاته بل يجب أن يكون وسيلة لسدّ الخلل وتقويم الاعوجاج الذي قد طرأ على الحياة الاجتماعية وصولاً إلى السيرة الملائكية والكمالات المسيحية التي يكون تأثيرها في النفوس أنجح وأفضل.

إنّ القوانين الأولى في الجمعية ركّزت على المبادئ التربوية السليمة وتوجّه إلى الراهبات للتركيز في تعليم البنات على تربية دينية كاملة مع التشديد على احترام الوالدين والمسنيين والكهنة، وتجنّب عشرة الأشرار، وبالإضافة إلى ذلك شدّدت القوانين والتعاليم الأولى على ترسيخ مبادئ العقّة والطاعة وحبّ المسؤولية والقيم المسيحية كافةً في نفوس البنات بطريقة عذبة ليّنة؛ وإذا كان لا بدّ من توبيخ فيجب أن يتمّ ذلك بكلام لطيف ومفيد لبلوغ الفائدة القصوى منه.

وفي ما يتعلق بالراهبة المعلمة فعليها أن تعلم أنّ تربية هؤلاء الفتيات إنّما هي خدمة للمعلم الإلهي نفسه.

وعلى هذا الأساس الديني والإيماني بدأت هؤلاء الراهبات بفتح المدارس تأديّة لرسالة إنسانية مسيحية، مشدّدة على تربية الشبيبة وتنقيتها بالإضافة إلى تحصيل العلوم المختلفة متوخّيات من وراء ذلك إظهار وجه المسيح للعالم والعمل على بلوغ الكمال المسيحي، وذلك لتحسين الناشئة ضدّ كلّ مظاهر الانحراف والفساد والبدع التي تهدّد المجتمع والكنيسة والإيمان المسيحي المميّز. وبذلك تشعر الناشئة بأهمية الاعتماد على روح الإنجيل وقيمه ولو على حساب الحياة المادية والاقتصادية.

إنّ جمعية العائلة المقدسة وبعد مرور أكثر من قرن على ظهورها إلى الوجود لا تزال تعي الرسالة التي وجدت من أجلها ومقتنعة بضرورة الاستمرار فيها والتشبّث بمبادئها التي تبقى - بنظرها - الأساس لكلّ تربية قديمة أو حديثة أو مستقبلية، وهذه التربية تركز على المقومات والأسس التالية:

- التربية على الإيمان
- التربية على الانضباط واحترام القانون والنظام
- التربية على المحبة
- التربية على الحشمة والتهديب والآداب
- التربية على الحرية المسؤولة والديموقراطية الحق.

وفي هذا السياق لا بدّ من أن نستوحي رسالة الحويك الصادرة في ١٤ آب ١٩٢٧ إلى الرئيسة العامّة الأمّ جوزفين قائلاً لها: راقبي، نبهي، حرّصي، وتدبّري، وتيقّظي، حتّى تبقى الجمعيّة سائرة في طريق التقدّم، وحثّ الراهبات على إنشاء أخويّات في المدن التي يعملن فيها، وينشرن بواسطتها التعليم المسيحيّ بين البنات والنساء والأمّهات، ويسهرن على وقاية البنات والأمّهات من المخاطر العصريّة. إنّ نظرة سريعة إلى مضمون هذه الرسالة الوصيّة تؤدّي إلى صياغة خطّة وقائيّة على خطى البطريرك الراحل وتتضمّن العناصر التالية:

أ - تنظيم دورات توعية وإجراء جلسات حوار مع أهالي الطلاب للعمل سوياً من أجل تحقيق أهداف تربويّة واحدة متكاملة. فيتكامل بذلك عمل البيت والمدرسة في خطّ إنسانيّ وإيمانيّ واحد متكامل.

ب - إدراكاً لخطورة الإعلام في نشر الفساد بمختلف وجوهه لا بدّ من إعداد حملات مبرمجة مضادّة ومدرّوسة ودحض الادّعاءات والأكاذيب المغرّضة والفاسدة والمفسدة للأخلاق والضمان، وخاصّة التلفزيون ومختلف وسائل الاتّصال المرئيّة، ما يسهّل على المشاهد أن يميّز بين البرامج المضلّلة والبرامج التي يمكن كلاً ممّا أن يستفيد منها.

ج - العمل على ملء الأوقات وخاصّة أوقات الفراغ لدى الناشئة بأمر ونشاطات مفيدة تنمي عقولهم وأجسادهم، وتساهم في استقرار نفسيّاتهم وترضي أذواقهم، وذلك من خلال إيجاد حركات ثقافيّة ورياضيّة كشيّة عبر تنسيق وتعاون متبادلين بين المدرسة والأهل وهيئات المجتمع المدنيّ على أنواعها.

إنّ هذا الواقع الذي نتحدّث عنه يجب أن يكون حاضرًا في أذهاننا عندما نخطّط للمستقبل في أيّ مجال من المجالات، وابتداءً من مرحلة الطفولة لدى ناشئتنا، يجب أن نضع الخطط المستقبلية منطلقين من الجذور، ومن المنابع الأصيلة الصامته ومن الأصالة اللبنيّة وروح الإنجيل، وبذلك نضمن لأجيالنا مستقبلاً مشرقاً بالرغم من العثرات والظروف السيّئة التي نعيش اليوم في ظلّها.

الفصل الرابع

الرئيسات العامّات اللواتي خلفن الأمّ روزالي نصر

١ - الأمّ استيفاني كردوش - الرئيسة العامّة الثانية ١٨٩٩-١٩٢٧

بعد استشهاد الأمّ روزالي بأسبوع أرسل البطريرك الحويك كتابًا إلى الأمّ استيفاني كردوش في ٣٠ آب ١٨٩٩ يعيّنُها بموجبه رئيسة عامّة للرهبنة المذكورة، ويحثّها على الالتزام بقوانينها، ونشر روح المحبّة المسيحيّة بين أفراد الجمعيّة والعمل على كلّ ما يؤدّي إلى خلاص النفوس على خطى الرئيسة الشهيديّة^{٢٦}.

إنّ الرئيسة الجديدة كانت في ريعان الشباب وقليلة الخبرة في تولّي مهامّ خطيرة من هذا النوع. ولكنّها تحمّلت المسؤوليّة بجديّة وجدارة بالرغم من الفراغ الذي تركه غياب الأمّ روزالي، وظلّت تمارس مهامّ الرئاسة العامّة حتّى العام ١٩٢٧. وأعرّبت طوال تولّيها مسؤوليّات الرئاسة العامّة عن كفاءة وجدارة وثقة بالنفس ووداعة مقرونة بالحزم أحيانًا إذا اقتضت الظروف ذلك. كما تميّزت بالتقوى، والانصراف الدائم إلى الصلاة والتأمّل وقراءة الكتاب المقدّس والكتب الدينيّة وخاصّة: **الإقتداء بالمسيح**^{٢٧}. أمّا دير العائلة في عبرين فكانت فيه تشرف شخصيًا على أعمال البنّائين والعمّال وتناقشهم في أعمالهم.

لقد وضع الحجر الأساسيّ لكنيسة الدير ١٩٠٧ وكرّسها الحويك ١٩١٣ وقد أنجز البناء نهائيًا ١٩١٧ كما أنشئت مدرسة داخلية في الدير، بالإضافة إلى بناء ٢٠ مدرسة وتأسيسها طوال مدّة ولايتها بما في ذلك بيروت، وذلك بهمة المتبرّعين والمحسنين.

تميّزت الأمّ استيفاني بالطاعة وبالمحافظة على شعارها في العمل: **"إلهي وجمعيّتي"**. وقد صرفت فترات طويلة من وقتها في خدمة المرضى والأيتام ومساعدة الفقراء وأنشأت ميثمًا للفتيات. ومن ناحية اهتمامها بالأمر الروحيّة فقد جعلت مقرّ الجمعيّة في عبرين مركزًا للرياضات الروحيّة السنويّة للراهبات^{٢٨}.

بعد انقضاء عشرين عامًا على رئاستها العامّة أصرّت على إجراء انتخابات جديدة، فانتهت الانتخابات بالإنجاح مرتين متتاليتين: ١٩١٩ و ١٩٢٤. واحتفلت الأخوات بيوبيلها (٢٥ سنة).

^{٢٦} أرشيف دير العائلة - مقالة الأخت ميري إلباس، ص ٢٠٦-٢٠٩.

^{٢٧} سيرة الأمّ استيفاني تعلّم إحدى الراهبات، ص ٦- أرشيف دير العائلة.

^{٢٨} أرشيف دير العائلة، الأخت ميري، ص ٢٠٦.

أمضت فترة رئاستها بالمشاريع والأعمال العائدة بالخير على رهبانيتها حيث توفيت عن عمر ٥٧ عامًا بعد أن أسست ١٥ ديرًا ومدرسة ونقلت المدرسة الداخلية من عبرين إلى البترون وبذلت عناية فائقة للاهتمام بالفتيات اليتيمات والسهر على راحتهن وتهذيبهن.

نهايتها: في أواخر حياتها بدأ المرض ينتابها فكانت تتقبله بفرح وسعادة مسلمة مطلقًا إلى العناية الإلهية. وعند اشتداد ألمها كانت تقبل الصليب بنفس عذبة تقية متشبّهة بالمسيح المتألم على الجلجلة، وترافقه على دروب الألم والعذاب. وعندما دخلت مرحلة الاحتضار والنزاع الأخير كانت تحق وهي على فراش الموت بالمصلوب وترسم مرارًا على وجهها إشارة الصليب. وآخر كلمة حفظتها قبل أن تسلّم الروح لخالقها: "يا عذراء"^{٢٩}.

٢ - الأم الرئيسة العامّة جوزفين الحويك ١٩٢٧-١٩٦١^{٣٠}

عندما انتقلت الرئيسة العامّة استيفاني إلى جوار ربّها كانت في ذروة نشاطها وعطائها، لذا فإنّ نبأ وفاتها نزل كالصاعقة على أخواتها الراهبات وعلى أهل الجوار من عارفيها ومحبّبيها، فتولّت الرئاسة العامّة بدلًا منها الأمّ جوزفين الحويك ابنة أخي البطريرك. وقد لاقت منه تشجيعًا ورعاية ودعمًا مطلقًا إلى أن فارق الحياة العام ١٩٣١.

ظلت الأمّ جوزفين في أداء رسالتها طيلة أربع وثلاثين سنة مقيدة بسيرة المؤسس والرئيستين السابقتين، وسائرة بالرهبانية في طريقها الصاعدة. كانت باكورة أعمالها الرسولية تأمين الإرشاد الروحي لبنات الجمعية والسعي لإقامة رياضات روحية دائمة، وذلك بالتعاون مع جمعية المرسلين اللبنانيين، ونالت هذه السياسة الناشطة بركة المؤسس الذي كان يكلف بعض رهبان مؤسّسة الكريم بإلقاء المواعظ والرياضات الروحية. وكانت الرياضة الأولى قد أقامها الخوري إسطفان قزاح رئيس عامّ جمعية المرسلين.

لقد تميّزت الأمّ جوزفين بنفسية وديعة وعقل راجح، وروح متجرّدة وكانت صاحبة عزم وإرادة صلبة على غرار قول المعلم الإلهي: "تعالوا إليّ وتعلّموا مني لأنّي وديع ومتواضع القلب"، كما اهتمت بالعمل على تركيز قوانين الجمعية. وفي صلاتها اليومية كانت تتجلّى عبادتها للعذراء وللقربان الأقدس، أمّا محبّتها للحياة العائلية فكانت مميّزة، وتتجلّى سعادتها عندما تلقي الأخوات لحضور الرياضة الروحية في دير العائلة وتتبادل معهنّ الأحاديث والآراء المفيدة لتطوير عمل هذه الجمعية، ذلك لإعتبارها أنّ البشريّة عائلة واحدة لأب واحد هو الله.

ومن أوجه علاقاتها المميّزة بالراهبات أنّها كانت تشجّعهنّ على إقامة زيارات روحية واجتماعية إلى البيوت لإسداء النصائح الروحية إلى العائلات. كما اهتمت بتأمين التعليم المسيحيّ للأولاد وللناشئة. ومما

^{٢٩} أرشيف دير العائلة، الأخت ميراي، ص ٢٠٩.

^{٣٠} الأخت ماري إلياس، ص ٢٠٩-٢١٢.

أدخل السعادة في قلبها أمران: الرابطة الروحية بين جمعية العائلة المقدسة والآباء المرسلين، ونقل رفات المؤسس إلى دير العائلة في ٨ أيار ١٩٣٦، وفي عهدها أصبح عدد مؤسسات جمعيتها ٧٣ مؤسسة في لبنان، ثم امتدت إلى سوريا في بانياس واللادقية وبناءً على طلب أهالي هاتين المدينتين، فتحت فيهما مدرستين ثانويتين، بالإضافة إلى تولي بعض راهبات هذه الجمعية إدارة بعض المستشفيات الحكومية في اللادقية وطرطوس وحمص ودمشق بالإضافة إلى مدرسة ابتدائية في حلب. وكانت الأم جوزفين تشرف عليها جميعها وتزورها وتتفقد أحوالها وتمنحها الاهتمام الزائد.

كما حرصت هذه الرئيسة العامة على إقامة تبادل ثقافي مع راهبات فرنسيات بهدف تعزيز الفن والموسيقى في المدارس. ومن أضخم الأعمال الفنية لهذه الجمعية كنيسة سيّدة لبنان في الأشرافية بموهبة الفنان يوسف الحويك ومعبد دير العائلة على ضريح المؤسس.

وتقديرًا لأعمال هذه الأم وإنجازاتها على مختلف الصعد، قلّدها الرئيس ألفريد نقّاش وسام الاستحقاق اللبناني المذهب، وذلك في احتفالٍ مهيب أُقيم في دير العائلة.

في العام ١٩٦١، وبعد أن أرهقتها جسامة المسؤولية اعتزلت من جميع مهامها ومسؤولياتها لتتفرغ للعبادة والصلاة. وظلّت على هذا المنوال طيلة ثلاث سنوات، والعام ١٩٦٤ (٦ شباط) فارقت الحياة وهي تلقي النظرة الأخيرة على الصليب.

٣ - الأمّ مارت عنداري الرئيسة العامة الرابعة^{٣١}

عملت هذه الأمّ على نشر روح التقوى والنظام، والجرأة وروح المبادرة الشجاعة، ووضعت نصب عينها المحافظة على أمانة الرسالة والسعي الدؤوب لتطوير مسيرتها باضطراد. ومن مبادراتها المميزة والسابقة لعصرها فتح المجال أمام الراهبات للاتحاق بالجامعات في لبنان وفرنسا وأميركا للتخصّص في مختلف الميادين ما يفتح أمامهنّ السبيل لتنمية ثقافتهنّ وتطوير شخصيتهنّ لتحقيق المآثر والإنجازات التي تؤدّي إلى خدمة الكنيسة والوطن. كما جدّدت نظام المستشفى اللبناني في الأشرافية بالتعاون مع راهبات كنديات استدعين خصيصًا إلى لبنان للقيام بهذه المهمة .

تميّزت بحبّها للنظام والقانون والترتيب، وشدّدت على كلّ الأمور التي تتعلّق بالتهذيب واللياقة والهندام الخارجي. وقضت سهرات طويلة لتلقين المبتدئات حبّ القانون وأصول التهذيب. كما عرفت بجرأتها المدهشة وإقدامها البطوليّ وذكائها المفطر، واتّخاذ الموقف المناسب في الظروف المناسب.

لذا، فقد نالت وسام الأرز الوطنيّ برتبة فارس، وقلّدها إيّاه باسم رئيس الجمهورية الوزير إميل البيطار وزير الصحة آنذاك.

^{٣١} الأخت ماري إلياس، ١١٢-١١٤.

إمتدّت نشاطاتها ومشاريعها الروحيّة والإنسانيّة إلى أستراليا تلبيةً لطلبات الجالية اللبنانيّة هناك. وغادرت ثلاث راهبات أرض الوطن العام ١٩٦٧، وأسّس هناك عدّة مدارس تعلّم اللغات الثلاث: الإنكليزيّة والفرنسيّة والعربيّة.

تولّت مهامّ الرئاسة العامّة مدّة ١٢ سنة وأحسنت انتقاء المستشارات، وضبطت الأعمال الإداريّة والماليّة ممهّدة الطريق لإيجاد خلف لها في الرئاسة. وانتقلت إلى جوار ربّها العام ١٩٧٣.

٤ - الأمّ الرئيسة العامّة ماري إميل نصر (١٩٧٣-١٩٩١)

بدأت هذه الأمّ حياتها الرهبانيّة على يدّ الأمّ مارت، وبدأت عليها منذ طفولتها مظاهر النجابة والذكاء، ثمّ أصبحت راهبة مميّزة في الجمعيّة، وتسلّمت منها زمام الجمعيّة في ظروف أمنيّة صعبة حيث بدأ لبنان يدخل في حرب أهليّة دمويّة. وفي تصريح خاصّ بهذه الأمّ أعلن المطران يوسف مرعي شهادة مميّزة فقال: "لقد أخذت من المؤسّسة اسمها ومن الأمّ استيفاني قدرتها ونظرتها إلى البعيد (إلى المستقبل) ومن الأمّ جوزفين قداستها، ومن الأمّ مارت عنداري حكمتها، ومن الأخت كلوتيلد الحويك روحانيّتها، ومن الأخت فيلومين أبي صعب نشاطها، ومن الأخت ماري مادلين بستاني رصانتها. وفوق كلّ ذلك فقد تميّزت بشفاقيّة ضميرها، وحكمتها في الإدارة، وحياتها النسكيّة الخاليّة من كلّ بهرجة.

فالأمّ ماري إميل نصر قد مثّلت بين أخواتها وجه الأمّ الحنون، المتألّم لكلّ بائس أو مشرّد. وبالرغم من أنّها تولّت المسؤوليّات الجسيمة في عمر مبكّر، فكانت مرّية الأجيال، وقضت معظم حياتها في دير عبرين أوّلًا كمساعدة في الابتداء، وكمعلّمة لمبتدئات طيلة ٢٨ سنة ١٩٤٥-١٩٧٣، ومشيرة في مجلس الإدارة ١٩٧٣-١٩٩١، مظهره كلّ اتّكال على العناية الإلهيّة في تسيير أمور الرئاسة.

لقد تميّزت أيضًا بتقواها وإرادتها الحديديّة في مجابهة الصعاب والعقبات المختلفة وشدّدت على ضرورة التقيد بالقوانين، وعلى المحبّة الأخويّة حيث تحلّت بإصغائها العميق لكلّ أخت والأخذ برأيها إذا وجدت ذلك ملائمًا، وبكلّ احترام. وفي أثناء الحرب الأهليّة اللبنانيّة وما رافقها من تهجير ومجازر فتحت أبواب الدير لنجدة المهجّرين وإغاّنتهم. وباختصار لصفاتها يمكن القول إنّ ثلاث صفات مميّزة قد طبعت شخصيّتها:

- صفاء الضمير،

- حنان الأمّ،

- حكمة القائد.

وفي بداية عهدها أعيد النظر بصلاة الفرض التي تؤدّيها الراهبة يوميًا ووضع كتاب: صلّاتي في الكنيسة، وصيغت القوانين صياغة جديدة مستوحاة من روحيّة مقرّرات المجمع الفاتيكانيّ الثاني. ومن

أهم مشاريعها المعروضة بناء دار "سيّدة الجبل" في فتقا - كسروان، هذا الدير الذي يحكي بفخامته وروعته عظمة تطلعاتها المستقبلية.

إلا أنّ هذه المشاريع التي أدخلت السعادة والفرحة العارمة في قلبها، وقد صدمتها رؤية بعض الأديار قد دمّرت أو أفلقت أو احتلّت في الحرب، وخاصّةً في بجمدون وحرارة حريك وكفرسلوان ورمحالا والجيّة وبيت الدين وكثير من الأديار الأخرى والمؤسسات التي تضرّرت من القصف، من المستشفى اللبناني (الجبعتاوي) إلى مدارس بيروت وأنطلياس والزلقا وطرابلس والبترون ودير العائلة الذي أصيب إصابات مباشرة في كنيسته الرائعة الجمال. ولكنّ هذه الصدمات لم تُدخل اليأس في قلبها بل زادت عزمًا وتصميمًا على مجابهة التحديات.

في العام ١٩٩٢ قلّدتها السيّدة منى الهرابي الرئيسة الأولى وسام الأرز الوطني برتبة فارس.

٥ - الأمّ جيلبرت فارس الرئيسة العامّة السادسة (١٩٩١)

تولّت الرئيسة العامّة مهامها العام ١٩٩١، وطوال ولايتها أحييت الجمعية العام ١٩٩٥ اليوبيل المئويّ لتأسيس الجمعية، وفي هذه الفترة بدأت الاستعدادات لاستقبال الألفية الثانية بأمل ورجاء، بأن تحمل معها تباشير الخير والسلام.

في هذه الأجواء بدأت الأمّ جيلبرت ومجلس إدارتها بأعضائه الأربعة تعمل لمجابهة تحديات العام ألفين، مع العزم الصادق على إكمال المسيرة وتحقيق الأهداف التي رسمها "المؤسس" البارّ لهذه الجمعية الهادفة إلى خدمة أبناء لبنان كلّ لبنان، وتعمل بتوجيهات غبطة البطريرك نصرالله صفيير والسادة الأساقفة في كلّ أبرشيات الطائفة، وخاصّةً في ما يتعلّق بخدمة العائلة اللبنانية من خلال توفير التربية الصالحة لشبيبينا على مبادئ الدين الفاضلة.

إنّ سياسة الأمّ جيلبرت في إدارة شؤون هذه الجمعية تقوم على حياة روحية مسيحية رهبانية أصيلة هي صورة عن روحية العائلة المقدّسة وروحانيّتها، أي روح تتميم المشيئة الإلهية، روح المحبة والفقر والطاعة والعمل، روحانية الابن المتجنّد، وطاعة القديس يوسف القائمة على الإيمان والعمل الصامت، وتقبّل مريم في بيوتنا^{٣٢}.

في عهد الأمّ جيلبرت انتهت صياغة قوانين الجمعية من قبل بعض الأخوات وبمشاركة خبراء مختصين، وطبعت بوجه نهائيّ في عهدها، ووضعت برنامج عمل سنويّ لنشاطاتها. فالسنة الأولى اختارت عنوانًا لعملها "المحبة" وحثّت الراهبات على العمل المتّسم بالعطف والمحبة وخاصّةً محبة القريب. هذه المحبة التي لا تعرف حدودًا ولا شروطًا تمامًا كالمحبة التي عاملنا بها المخلص. أمّا السنة

^{٣٢} قانون عدد ٤ و ٥.

الثانية فكان عنوانها: "سنّة الصلاة" وشدّدت على الأخوات أن يكون كلّ عمل من أعمالهنّ صلاة فعلية. وبالتالي يصحّ كيان كلّ واحدة منهنّ فعل صلاة، وذبيحة مقدّسة مرضية عند الله. وفي ما يتعلّق بالسنة الثالثة^{٣٣} فقد اختارت لها عنوان: "سنة الرسالة"، هذه الرسالة المبنية على المحبة والصلاة حتّى تكون حياتهنّ المكرّسة حياة رسولية في جوهرها وأهدافها وأبعادها. وبالمحبة تتوق إلى امتلاك المسيح لقلبها فيحرّر رغباتها، وبذلك تستطيع كلّ أخت أن تعمل بتجرّد في أثناء قيامها بخدمة القريب بوداعة وتواضع قلب^{٣٤}.

أمّا السنة الرابعة فهي سنة "اليوبيل" أي سنة القداسة المتمثلة بقداسة السيرة وإشعاعها على الآخرين، وهي نعمة على الإنسان لأنّها تعيده إلى الينابيع. ففي رأي الرئيسة يجب أن تكون هذه السنة مليئة بالتأمّل والصلاة وهي أيضاً سنة تجديد العهد على الأمانة للروح القدس، مع الحفاظ على مبادئ البساطة والفرح والمشاركة^{٣٥}.

إنّ روحية الأمّ جيلبرت وروحانيّتها قد تجلّت في كلمة افتتاح اليوبيل المؤبّي، دعت فيها للعودة إلى الينابيع، ينباع الصفاء والأصالة فأشادت أوّلاً بالمؤسس البارّ البطريرك الحويك الذي دعتّه "رجل العناية"، ومن الرئيسة الأولى الأمّ روزالي استنقت روح الإقدام حتّى الشهادة، ومن الرئيسة استيفاني تعلّمت التجرّد المطلق والإدارة الحديدية في تنميط الواجب ضمن شعار: "الله وجمعيّتي".

أمّا الأمّ جوزفين فقد بهرتها بتقواها ووداعتها وسخاء كفّها في العطاء. وأمّا الأمّ مارت فأعجبت بمزايا عديدة لديها أبرزها رحابة الصدر والانفتاح والفتنة والدقّة والإتقان في العمل. أمّا الأمّ ماري إميل فاعتبرتها رمز الحكمة والإيمان المقرون بالمحبة والعناية بالفقير، كما توجّهت في مقدّمة كلمتها إلى كلّ أخت جاهدت الجهاد الحسن، وأتمّت شوطها وقد أعدّها لها إكليل البرّ.

إنّ رسالة الأمّ جيلبرت تتجسّد بالحفاظ على هذه الوديعة بعون الروح القدس، وبكلّ ما حباها الله به من صفات إنسانية كالعلم والذكاء والوداعة، ومن صفات روحانية رهبانية وخاصّةً التواضع والفقر والتقوى، ومن صفات إلهية: الإيمان والرجاء والمحبة. ومن خلال هذه الشخصية الرضيّة التقية تحثّ أخواتها على أن يحفظنها خميرة صالحة في العقل والقلب والروح فتقدّس حياتهنّ.

خاتمة

إنّ هذا البحث الموجز حول جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات ومؤسسها البطريرك إلياس الحويك جعلني أسلّط الضوء على هذه المؤسسة المارونية الوطنية التي خصّصت نفسها لاحتضان

^{٣٣} قانون عدد ٧٥.

^{٣٤} قانون عدد ٨٨ ب.

^{٣٥} قانون عدد ٧٧ وقانون عدد ٦٠.

طلّاب العلم، والمرضى واليتامى والمعوزين ومن مختلف الطوائف، كما كانت معقلًا للإيمان الواعي الناضج المزيّن بالفضائل السامية والقيم المسيحيّة النبيلة. وأصبح كلّ دير من أديرتها، وكلّ مؤسسة من مؤسساتها منارةً روحيةً ووطنيةً تشعّ منها أنوار الفضائل، وشعلة المحبّة والتواضع والإيمان والتضحية. وهذا ليس بكثير على مؤسسة نشأت على أيدي مؤسس بارّ سلك منذ نعومة أظافره طريق الفضيلة التي غرفها من البيت الوالديّ الذي ولد وترعرع فيه، ليصل عند انتقاله إلى جوار ربّه إلى عتبة القداسة التي نأمل بأن نجده يومًا في مصافّ القديسين والأبرار إلى جانب شربل والحرديني فيصبح لنا بذلك شفيعًا جديدًا في السماء.

المصادر والمراجع

١. الخوري يوسف أسعد داغر، **بطاركة الموارنة**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٧ ص ١٠٩-١١٠؛ الأب إغناطيوس سعادة، **المؤسسان إلياس الحويك ويوحنا حبيب**، ص ٥٤-٥٦ من محاضرة أقيمت في دير العائلة في عبرين في ٢٨ أيار ١٩٩٥.
٢. المطران بولس إميل سعادة، **المنارة** ١٩٩٥، السنة ٣٦، محاضرة أقيمت في مدرسة تّورين، في ١٤ أيار ١٩٩٥، ص ١٨ بعنوان: "وجه البطريرك الحويك الكنسي"، ٢٠.
٣. **بطرس حرب**، ص ٩٧.
٤. الخوري إسطفان إبراهيم الخوري، وثائق البطريرك الحويك السياسيّة في أرشيف بكركي من مقدّمة كتاب **تاريخ الموارنة (الغلاف الخارجي)**.
٥. المطران خليل أبي نادر، **روحانيّة البطريرك الحويك**.
٦. سامي سلامة، **مفكرة المطران عبدالله الخوري**، منشورات جامعة سيّدة اللويزة، لبنان، ٢٠٠١، ص ١٣٨-١٤١.
٧. الأستاذ باخوس ص ١٠٤، مقالة بعنوان "دور البطريرك الحويك عسّاف الخوري في الإطار الوطني" - محاضرة أقيمت في مدرسة طرابلس في ١٦ ك ١ ١٩٩٤.
٨. المطران بشارة الراعي (رئيس أساقفة جبيل سابقاً) من محاضرة ألقاها في مدرسة مار يوسف جبيل في ٧ ك ٢ ١٩٩٥، ص ١٥٣-١٦٢ بعنوان: "دور الراهبة في الكنيسة اليوم".
٩. الأخت فيرونا زيادة، **جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة، مراحل التأسيس**، ص ١٦٣-١٦٤، محاضرة أقيمت في سيدني في أستراليا، في ٣ شباط ١٩٩٥.
١٠. الأخت ماري ريتا مخّول، محاضرة أقيمت في شكا بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٩٥ بعنوان: "مشروع التأسيس وظروفه" صفحة ١٧٢-١٧٧، يُراجع أيضاً مقال آخر للمؤلّفة نفسها بعنوان: "جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات"، **مجلة المنارة**، ١٩٩٠، ص ٢٧-٤٠، العدد الخاصّ بالرهبانيّات النسائيّة الشرقيّة في لبنان.
١١. الأب إبراهيم حرفوش، "دلائل العناية الصمدانيّة"، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، ١٩٣٤ ص ٢٠٣.
١٢. راجع الأخت ماري ريتا مخّول، **جمعيّة المرسلين اللبنانيين وراهبات العائلة المقدّسة المارونيّات**، **المنارة**، ص ٢٧١-٢٧٨.

١٣. إنتقال الجمعيّة إلى عبرين ١٨٩٦، وبلغ عدد أديرتها ١٩٠٥ خمسة أديرة: عبرين جبيل، عمشيت، كفيغان، قرطبا، ص ١٧٩.
١٤. مقالة الأخت ماري ريتا مَحُول، ص ١٧٤-١٧٥.
١٥. أرشيف دير العائلة- مقالة الأخت ميري إلياس، ص ٢٠٦-٢٠٩.
١٦. سيرة الأمّ إسطفاني تعلّم إحدى الراهبات، ص ٦- أرشيف دير العائلة.
١٧. أرشيف دير العائلة، الأخت ميري، ص ٢٠٦.
١٨. الأخت ماري إلياس، ص ١١٢-١١٤ - ٢٠٩-٢٠١٢.
١٩. قانون عدد ٤ و ٥ و ٦ و ٧٥ و ٨٨ ب
٢٠. قانون ٤١٠- ص ١٩٠، قوانين جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة المارونيّات، إعداد الأخت كلوتيلديّة.
٢١. القانون ٤١٨، البند ٢ المتعلّق بالحقّ العامّ، ص ١٩٠.